الخلاف الروسي-الإيراني حول الفيدرالية في سوريا

الكاتب : علي حسين باكير

التاريخ : 14 مارس 2016 م

المشاهدات : 6046

مع تزايد الحديث مؤخرا عن الخطة الأمريكية (ب) لسوريا، وعن الطرح الروسي حول تفضيل النظام الفيدرالي، لاسيما مع إعلان نائب وزير الخارجيّة الروسيّة سيرغي ريابكوف بأنّ موسكو تأمل بأن يتم التوصل إلى فكرة إنشاء جمهورية فيدرالية في سوريا، ظهرت نظريّة جديدة تقول بأنّ هناك خلافا بين روسيا وإيران حول هذا الموضوع.

الحديث عن خلاف روسي- إيراني ليس جديدا، وسبق وأنّ تمّ ترويج نظريات وأساطير حول وجود خلاف بين الطرفين، إزاء إدارة الملف السوري ومصير الأسد ومصالح إيران في سوريا، وقد تبيّن حينها بأنّ شيئا من هذا الكلام لم يكن صحيحا، لا بل انّ الطرفيّن كانا مكمّلين أحدهما للآخر، في المواقف وفي الأداء على المستوى السياسي أو العسكري، في المفاوضات أو على الأرض.

اليوم يعود الحديث مجددا عن الخلاف ولكن حول شكل سوريا، وتحديدا حول الطرح الفيدرالي. المروّجون لهذا الطرح يعتمدون على تصريحات للرئيس الإيراني حسن روحاني، يقول فيها بأنّ إيران تدافع عن وحدة سوريا وسيادة الدولة على كامل أراضيه، وأنّها أبلغت جميع الأصدقاء والجيران بمن فيهم روسيا بأن سيادة بلدان المنطقة على أراضيها ووحدة ترابها أمر مهم بالنسبة لإيران.

لكن وكما عوّدنا الإيرانيون أنفسهم، لا يمكن الركون إلى تصريح كهذا لنبني عليه نظرية وجود خلاف مع روسيا، خاصّة أنّ مثل هذا التصريح لا يخرج عن الخط الكلاسيكي المعتاد لإيران، فهم يؤكدون دوما احترامهم سيادة الدول الإقليمية، ومع ذلك لا يفوتون أي فرصة لانتهاكها مرارا وتكرارا، ويؤكدون حرصهم على السلام والاستقرار الإقليمي ولكنّهم لا يوفرون أي لحظة للعمل على تقويض هذا الاستقرار وإشعال الحروب والفتن في محيطهم، كما أنّ حديث الإيرانيين عن أهمية الحفاظ على سيادة ووحدة سوريا لا يعني بالضرورة أنّهم سيعارضون الفيدرالية، بدليل أنّهم ينتهكون هذه السيادة التي يتحدثون عن أهمية صيانتها.

أضف إلى ذلك أنّ الحديث عن وحدة سوريا لا يتعارض مع طرحهم أو تأييدهم للنظام الفيدرالي بالضرورة، بدليل أنّ الطرح الروسي عن الفيدرالية في سوريا الذي قدّمه ريابكوف نفسه، تمّ تغليفه في التصريح نفسه أيضا بحديث عن الحفاظ على

وحدة سوريا!

من هذا المنطلق، فإن الكلام لا يعني شيئا، وغالبا ما يكون كلام الروس والإيرانيين متناقضا مع أفعالهم، لكنّ البعض يصر على وجود الخلاف بين الطرفين في هذا الشأن من باب آخر، وهو تخوّف إيران من أن يؤدي تحويل سوريا إلى فيدرالية إلى فتح الباب واسعا أمام انتقال هذه العدوى إلى إيران، خاصّة إذا ما كان مشروع الفيدرالية برمّته يهدف في الأساس إلى مكافأة العنصر الكردي.

تصوّر وجود مثل هذه المخاوف الإيرانية أمرٌ مشروع لدى المحلل، لكن العبرة بالنسبة إلى النظرة الإيرانية ليست في حقيقة الأمر حول شكل النظام السياسي، بقدر ما تتعلق بمدى قدرتها على تحقيق نفوذها ومصالحها، لا بل إنّ الحقيقة تقول إنّ النفوذ الإيراني غالبا ما يؤدي إلى إضعاف الدولة التي يوجد فيها، وتفتيتها بحيث يصبح هذا التفتيت بذاته عنصرا ضامنا لديمومة النفوذ الإيراني، وفي الحالة السورية، فإن فيدرالية من النوع المقترح قد تضمن لإيران أكثر من بوابة نفوذ مستقلّة داخل البلاد، عبر العلويين والأكراد وربما أيضا عبر غيرهم.

النموذج اللبناني يصلح دوما للتعبير عن التجارب الإيرانية في المنطقة العربية، وعلى الرغم من أنّ لبنان ليس دولة فيدرالية، لكّنه عمليا أصبح كذلك ـإلى حد كبيرـ بدفع من السياسات الإيرانية التي غذّت وعززت النفس الطائفي، وعملت على تسليح حزب الله حتى أسنانه فأصبح لديه مناطقه ومدنه ومحمياته، وكل منها لها حدود وينشر فيها قواته الخاصة وعناصر من جيشه الصغير، مما حوّل لبنان إلى دويلات طائفيّة صغيرة؛ إما تابعة للحزب أو تحت حمايته أو مستسملة له.

يجب علينا ألا ننسى أيضا أنّ إيران كانت أول من دعم الحكومة التي أتى بها الاحتلال الأمريكي في العراق، ولم تبد أية مخاوف حينها من تحوّل العراق إلى دولة فيدرالية، فهل من المنطقي القول إنها ستخاف من فيدرالية في سوريا ولا تخاف من فيدرالية في العراق؟! لا بل الثابت أنّها إذا كانت تخاف فعلا مثل هذه الإشكال، فكان من الأرجح أن تخشى الفيدرالية العراقية أكثر من نظيرتها السورية المقترحة، وإذا كانت تعارض فعلا فيدرالية في سوريا فالأولى أن تعارض الفيدرالية العراقية.
وعليه، لا أرى حقيقة وجود خلاف روسي ـ إيراني، على كل حال، فإذا فرضت روسيا نموذجها هذا على السوريين، لن تكون هذه مشكلة كبيرة بالنسبة إلى الجانب الإيراني، فإذا قدّر لسوريا أن تكون دولة فيدرالية، يكفي إيران حينها أن تحرص على أن تكون سوريا نموذجا فيدراليا فاشلا، حتى لا تنتقل العدوى إليها، بمعنى آخر يكفي أن تحرص إيران على وجود دولة فاشلة في سوريا أي كالعراق اليوم حتى تكون هي بمأمن وتضمن في الوقت نفسه مصالحها.

عربى21

المصادر: